

الديمقراطية العراقية وأثرها على الشرق الأوسط

(لسان حال الصحيفة)

صحيفة وول ستريت جورنال

9 مارس 2010

Iraq's Remarkable Election

The Wall Street Journal Newspaper

ترجمة: علي الحارس

ينبغي أن يكون المرء متشائما إذا أراد أن لا يستبشر بإنجازات الانتخابات العراقية؛ حيث عجزت القنابل والصواريخ وتهديدات القاعدة وإنهاكات الحرب عن إبعاد ملايين العراقيين من كافة الطوائف والمناطق عن ممارسة حق يندر وجوده في العالم العربي. حتى أن ممثل الأمم المتحدة في بغداد دعا العملية الانتخابية بأنها «انتصار».

في محافظة الأنبار شهدت محطات التصويت مشاركة (61%) من المواطنين الذين يحق لهم التصويت. علما بأن هذه المحافظة كانت في السابق معقلا للمتطرفين. ولم يشارك من مواطنيها في الانتخابات السابقة قبل خمسة أعوام غير (3,375) شخصا. أي بنسبة (2%). ولم تكن نسبة مشاركة الأنبار تختلف كثيرا عن نسب باقي المحافظات السنية التي قاطعت انتخابات عام 2005: حيث وصلت نسبة المشاركة إلى (70%) في ديالى وصلاح الدين، و(67%) في نينوى. وكلها نسب تتجاوز المعدل العام الذي بلغ (62%). وهو حد نادر ما تبلغه نسبة المشاركين في انتخابات رئيس الجمهورية في الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد تعرضت القاعدة والمجموعات المتطرفة السنية والشيعية إلى الهزيمة العسكرية على يد خطة (الاندفاع). وهذه الانتخابات تقوم بإكمال المسيرة نحو حل الخلافات باستخدام آليات السياسة لا القنابل. أما ما تبقى من الإرهابيين، وهم أضعف بكثير مما كانوا عليه وينتظمون في خلايا صغيرة، فقد حاولوا جاهدين أن يعرقلوا العملية الانتخابية. وسقط (38) قتيلًا يوم الانتخابات بتأثير قذائف الهاون والصواريخ والعبوات الناسفة. ولكن المهاجمين لم يتمكنوا من الاقتراب من محطات الاقتراع. وكان الوضع الأمني في بغداد وغيرها جيدا إلى حد جعل العراقيين لا يلقون بالا إلى التهديدات.

الديمقراطية العراقية وأثرها على الشرق الأوسط

إن نتائج الانتخابات مفتوحة على كل الاحتمالات ولن يتمكن أحد من الجزم بشأنها قبل مرور أيام عدة؛ فرئيس الوزراء نوري المالكي يحتاج إلى بناء تحالف جديد مع أحزاب شيعية وكردية متشككة. أما رئيس الوزراء السابق إباد علاوي فقد استطاع، على الرغم من كونه شيعيا، أن يجتذب أصوات السنة إلى كتلته الوطنية العلمانية. أما الكرد فقد يعانون انقسامًا ضمن تحالفهم. إن عدم الجزم بالنتائج هو في حقيقته علامة على تقدم الديمقراطية. ولن تكون دراما الأحداث العراقية بعيدة عن عيون الشرق الأوسط الذي اعتاد على حصول الحزب الحاكم على أغلبية مقاعد البرلمان. وسيتبدى الفارق الكبير بين الانتخابات العراقية وما حصل من سرقة أصوات الناخبين في إيران عام 2009، حتى أن قناة الجزيرة الفضائية انتبهت إلى أهمية الحدث فقامت بتغطية خاصة للانتخابات على مدار الساعة.

يستحق الرئيس اوباما أن يشهد له بمقاومته لدعوته التي أطلقها عام 2008 للانسحاب الأمريكي السريع من العراق. فجميع الأطراف العراقية تعتبر القوات الأمريكية وسيطا نزيها وضامنا للاستقرار. ومن هنا كان مما يدعو للأسف أن نسمع اوباما، وقبل أن تغلق صناديق الاقتراع ويتم عد الأصوات، وهو يعلن فوراً أن الانتخابات تمهد الأرضية لانسحاب كافة القوات الأمريكية من العراق مع نهاية العام القادم. لقد تم التضحية بالكثير من الدماء والأموال لربط المهمة الأمريكية في العراق بالتطورات السياسية، ومع أن طبيعة الأداء سوف تتغير، فإن المهمة بحاجة إلى الدعم والمساندة. ولنتخيل هنا ماذا كان سيحصل لو انسحبت القوات الأمريكية من ألمانيا بعد ثمانية أعوام من نهاية الحرب العالمية الثانية، أو تخلت عن كوريا الجنوبية بعد الحرب الكورية.

لا تزال هنالك أخطار تنتظر العراق، ومنها اندلاع العنف بعد الانتخابات، كما أن الجوار لا يزال خطرا. صحيح أن العراقيين لن يقبلوا بالخضوع للهيمنة الإيرانية، لكن أحد كبار القادة العسكريين الأمريكيين أخبرنا أن قلقا كبيرا ينتابهم حاليا من «حزبلة العراق». فالإيرانيون اكتسبوا الخبرة من استغلال الانقسامات الطائفية في لبنان لبث الاضطراب فيه، وتسعى

الديمقراطية العراقية وأثرها على الشرق الأوسط

إلى تكرار التجربة في العراق من خلال دعم المتطرفين الشيعة بالسلاح والأموال. وهذا النفوذ يقتضي إجراءات مضادة لاحتوائه.

إن العراق الحر يمثل أيضا فرصة استراتيجية كبيرة أمام الولايات المتحدة؛ فبعد أن صرفت تركيا وجهها عن أوروبا (لعدة أسباب منها أن أوروبا نفسها صرفت وجهها عن تركيا من قبل)، ومع سعي إيران إلى الهيمنة الإقليمية، يمكن للعراق أن يتحول الآن إلى حليف قوي لأمريكا في المنطقة إذا بقينا في الميدان. فالوجود القوي في العراق يمنح أمريكا أرجحية هامة على النظام الإيراني المارق الذي يعكف على صناعة سلاح نووي.

طالما سمعنا على امتداد سنوات أن إسقاط صدام كان خطأ لأنه أدى إلى تقوية إيران؛ أما الآن والعراق يبرز في المنطقة باعتباره دولة ديمقراطية موحدة، فإن حكومة بغداد يمكنها أن تعاكس التأثير الإيراني دون أن تتصف بالوحشية أو تطلق التهديدات لدول المنطقة كما كان يفعل صدام حسين. وعلى الرغم من أن عدد القوات الأمريكية في العراق ينخفض، فإن تقوية الالتزام الأمريكي هناك سوف يخدم العراق، والشرق الأوسط برمته، والمصالح الاستراتيجية الأمريكية.